تم بالفعل لم يمتنع إبراهيم عليه السلام بأى مخلوق مهما عرض عليه العون والمساعدة بل توجه لربه وربهم فقال ، لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ولك الملك ، لاشريك لك ، فلما وضع الخليل عليه السلام فى كفة المنجنيق مقديا مكتوفا ثم ألقوه منه الى النار قال حسبنا الله ونعم الوكيل ، كما روى البخارى عن إبن عباس أنه قال حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم حين ألقى فى النار ، وقالها محمد حين قيل له ، أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فإنقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء . وقال أبو يعلى ، حدثنا أبو هشام الرفاعى ، حدثنا إسحاق عن سليمان ، عن أبى جعفر الرازى عن عاصم أبن أبى النجود ، عن أبى صالح أبى هريرة قال ، قال ﷺ لما ألقى إبراهيم فى النار قال : اللهم إنك فى السماء واحد ، وأنا فى الأرض واحد أعبدك ،

وذكر بعض السلف أن جبريل عرض له فى الهواء فقال : يا إبراهيم ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، ويروى عن عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنه قال ، جعل ملك المطر يقول متى أومر فأرسل المطر ؟[1] وأن جبريل عليه السلام قال له فاسئل ربك فقال إبراهيم عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى حسبى الله ونعم الوكيل[2]

(١) أبن كثير : تصص الأنبياء ص١٣٩

(٢) النيسابورى ، قصص الأنبياء ص٦٧

فكان أمر الله أسرع . " قلنا يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم "[1]

فنجا إبراهيم عليه السلام بقوله حسبى الله ونعم الوكيل ثقة بالله عز وجل لا فى غيره ، مهما كان هذا الغير ، سواء ملك المياه فقال له أن أردت أخمدت النار فإن خزائن المياه والأمطار بيدى ، وأتاه خازن الريح لإبراهيم عليه السلام شئت طيرت النار فى الهواء فقال إبراهيم عليه السلام لا حاجة لى اليكم [2]

فسبحان الله فى موقف الخليل هذا اى ثقة وأى إيمان جعله ، يتصرف هكذا ، وتخليه عن العقل وأقيسته المنطقية ، فى الإستعانة بالمخلوقات التى تعرض عليه ، المساعد، إن هذا الموقف يحتاج الى وقفات تأملية ، منا أمامه لكى نعلم ونستفيد .

الموقف الثانى

الإبتلاء بالخوف من الموت بالذبح

تعرض أيضا نبى الله إسماعيل ، إبن إبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ، تعرض الى موقف إبتلائى بالذبح ، عندما أومر الخليل بذبح إبنه إسماعيل عليه السلام فأخبر الخليل إبنه بذلك ، وكان المتوقع بالعقل وبالمنطق ، أن يأبى الولد ، ويرفض هذا الأمر الغريب ، فضلا عن إتهام أبيه بخرف كبر السن والعياذ بالله ، لكن الولد والوالد كلاهما ، قد وضعا

(١) الانبياء أيه ٦٩

(٢) النيسابورى ، قصص الأنبياء ص٦٧

ثقهم بالله عز وجل ، ولم يبق إلا أن نسمع ما يقوله ، إسماعيل عليه السلام من وقوع خبر الذبح على أذنيه فقال " يا أبت إفعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين "[1] لأن الصابرين على ربهم يتوكلون { الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون }[2] وإسماعيل عليه السلام من المتوكلين المؤمنين بالله وهذا من باب التقوى قال تعالى{ واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون }[3]

فكلمات إسماعيل هذه تدل على تونيق من الله كبير ، وإيمان وثيق ونفس راضية بما قضى الله وأمر به وقدر ، وهنا تبدو عظمة التضحية والطاعة والاستسلام فى المواقف المتأزمة ، التى بها شدة لا يقوى على حملها إلا الواثقين بالله عز وجل ، إنها العبودية الحقة لله ، ونجد إن إسماعيل عليه السلام لم يقل : يا أبتى أفعل ما أمرتني به ؛لأنه يعلم أن الأمر ليس من أبيه ، بل الأمر من رب العالمين ، ولذلك قال ، "يا أبت إفعل ما تؤمر "ثقة فى أمر الله عز وجل ، مستبعدا لقياس العقل من أن حياته ستزهق ، بيده أبيه ، الممسكة بالسكين والتى ستنزل على رقبته ، لتزهق روحه ، لكن الاستسلام لله وأمره ينقذ العبد المؤمن قال تعالى {فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا

(١) سورة الصافات ، اية رقم ١٠٢

(٢) سورة النحل أيه ٤٢

(٣) سورة المائدة أية ١١

إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم }[١]

كان الإبتلاء قد تم ، والإمتحان قد وقع ، ونتائجه قد ظهرت وغاياته قد تحققت ولم يعد إلا الألم البدني ، وإلا الدم المسفوح ، والجسد الذبيح ، والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء ، ولا يريد دماءهم وأجسادهم فى شىء ، ومتى خلصوا له وإستعدوا للأداء بكلياتهم فقد أدوا وقد حققوا التكليف ، وقد جازوا الإمتحان بنجاح[٢] وهذه هى منتهى الثقة بالله والتوكل عليه والاستسلام لوجهه الكريم ، مهما كان هذا الموقف به شدة وتأزم ،

(١) الصافات ، آيه ١٠٣-١٠٧

(٢) سيد قطب ، فى ظلال القرآن الكريم ، ج٢٣ ص٢٩٩٦

الموقف الثالث

الإبتلاء بالخوف من الموت بالغرق وبالحوت

أبتلي نبى الله يونس عليه السلام بإبتلاء عظيم بعد أن هرب من قومه وضاق بهم ذرعا فذهب الى الفلك المشحون المملوء بالركان فهناك كان الإبتلاء بالغرق ، أولا ثم بالحوت والمكوث فى بطنه ثانيا ، قال تعالى { وإن يونس لمن المرسلين ،إذ أبق إلى الفلك المشحون ، فساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهو مليم }(١)

قال البيضاوى : إذ أبق ، هرب ، وأصله الهرب من السيد ، لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه ، حسن إطلاقه عليه (الى الفلك المملوء فقارع أهله فصار من المغلوبين بالقرعة(٢) فألقى فى البحر فلتقمه الحوت ، فلبس فى جوفه فترة من الزمن ، ومنطقيا لا يستطيع عاقل أن يقول أن يونس عليه السلام سينجو من البحر أو من الحوت ، فإما بالغرق أو بالهضم سيموت ، هذا هو قول العقل فى هذا الموقف ، وما يقاس على غيره مما لو حدث له ذلك ، لكن الثقة بالله إذا وجدت لكان للموقف وجها آخر وهذا ما حدث بالفعل ، من أن يونس عليه السلام تعلقت روحه بالثقة بالله عز وجل والتوكل عليه ، فكان يقول رغم ظلمة البحر وظلمة الحوت

---

(١) سورة الصافات آيه ١٣٩-١٤٨

(٢) البيضاوى : أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن على : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، طبعة مصطفى البابى الحلبي ، سنة ١٣٨٨ جـ٢ ص٢٩٩

وظلمة الليل ، (لا إله إلا إنت سبحانك إنى كنت من الظالمين)[١] ثقة بالله وتوكلا عليه بأن يعفوا عنه ويغفر له وينقذه مما فيه فقال مقولته ومعناها " أنزهك ربى تنزيها لائقا بك من أن يعجزك شيء ، أو أن يكون إبتلائى بهذا بغير سبب من جهتى (إنى كنت من الظالمين) لأنفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة من غير أمر على خلاف معتاد الأنبياء عليهم السلام ، (فاستجبنا له) أى دعاءه الذى دعاه فى ضمن الاعتراف بالذنب على ألطف وجه وأحسنه (ونجيناه من الغم) بأن قذفه الحوت الى الساحل بعد أربع ساعات ،كان فيها فى بطنه ، وقيل بعد ثلاثة أيام ، وقيل الغم غم الالتقام ، وقيل الخطيئة)[٢]

والشاهد هو أن يونس عليه السلام تعلقت نفسه بالثقة بالله عز وجل فتوكل عليه سبحانه وتعالى ،لاغيا اى قياس عقلى يحمله على انه هالك بالظروف التى هو فيها ورغم ما هو فيه نادى ربه مسبحا وموحدا له سبحانه وتعالى ومعترفا بظلمه لنفسه فأنقذ بهذه الثقة قال تعالى {فلولا أنه كان من المسبحين . للبث فى بطنه الى يوم يبعثون }[٣]

---

(١) سورة الانبياء : أيه ٨٧

(٢) أبو السعود : محمد بن محمد العمادى الحنفى ، تفسير أبى السعود ، إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، مكتبة الرياض الحديثة ج٣ ص٧٣٣

(٣) الصافات : ١٤٣

الموقف الرابع

الإبتـــلاء بـــالخوف مـــن الأعـــداء للكليـــم عليه السلام

إبتلى كليم الله موسى عليه السلام هو وقومه فى موقـف عصيـب ، حيـث انحصروا بين فكين كلاهما مهلك ، البحر أمامهم والأعداء من فرعـون وجنوده خلفهم ، حتى جزم عقل أتباع كليم الله موسى عليه السلام وهم اليـهود من أنهم مدركون ، وأن أعداؤهم سيلحقون بهم ، ويفتكون بـهم ، وهـم جيش قوى ، وهم قلة ضعيفة والعقل الذى جزموا به معه حق ، لأنـه لا مناص من النجاة فى هذا الوقت ، إذا قسنا بالعقل ومنطقه ، لأن العقـل يضع احتمالات إما مهلكة وإما مستحيلة ، ومنها ، الفرار هل يكون فـى البحر ؟ والبحر مغرق ، أو أنهم سينجون بطيرانهم فى الـهواء ؟ وهـذا أمر مستحيل ، أو أن مهربهم وملاذهم إنشقاق الأرض بهم فى سـرداب آمن ؟ وهذا أيضا مستبعد ، لإستحالته ؟ وإما أن يتراجعوا ويواجـهوا عدوهم وتكون لهم الغلبة عليهم ، وهذا أيضا يستبعده العقل لأنه لا تكافئ فى قوى الفريقين . هذا هو منطق وقياس وعقل أتباع موسى عليه السلام أمـا هو كليم الله فلديه الثقة الكافية بالله التى تستبعد كل وجوه ، قياس العقـل ، وتوقعاته ، مثل ما ذهب اليه قومه ، لأنه نادى بكل فاهه والثقـة تمـلأه والسكينة لا تحرك يأسه قدر أنملة فقال" إن معى ربى سيهدين "

{ فأتبعوهم مشرقين ، فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنـا لمدركون ، قال كلا إن معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن أضـرب

بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ، إن فى ذلك لآية وما أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم }[1] " وتراءى الجمعان وتقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه ، ولما عاين اليهود ذلهم بين فكى عدوهم ، بلغ كربهم مداه ، ولكن موسى الذى تلقى الوحى من ربه ، لايشك لحظة وملأ قلبه الثقة بربه ، واليقين بعونه ، والتأكد من النجاة ، وأن كان لايدرى كيف يكون ، فهى لابد كائنة ، والله هو الذى يوجهه ويرعاه { قال كلا إن معى ربى سيهدين }كلا لن نكون ضائعين { كلا إن معى ربى سيهدين } بهذا الجزم والتأكيد واليقين ، وفى اللحظة الأخيرة ينبثق الشعاع المنير فى ليل اليأس والكرب ، وينفتح طريق النجاة من حيث لا يحتسبون { فأوحينا الى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم }[2]

(١) الشعراء ٦٠ -٦٨

(٢) سيد قطب ، فى ظلال القرآن الكريم ج٥ ص٢٥٩٩

الموقف الخامس

الإبتلاء بالخوف من الجبابرة

إبتلى بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر بأن ينطلقوا بدخول الأرض المقدسة فعلموا أن فيها قوما جبارين من الحيثانيين والكنعانيين والفزاريين فأمرهم كليم الله موسى عليه السلام بأن يدخلوا الأرض المقدسة ويطهروها من هؤلاء فأبوا ونكلوا عن الجهاد ، بعد أن قاسوا بعقولهم أن هؤلاء أقوى منهم وأنهم قوما جبارين ، ولم يضعوا ثقتهم بالله عز وجل وفى رسوله سوى إثنين فقط ، توكلوا على الله وخافوه سبحانه وتعالى ، قال تعالى { قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين }(١)

" هنا تبرز قيمة الإيمان بالله والخوف منه ، فهذان رجلان من الذين يخافون الله ينشئ لهما الخوف من الله إستهانة بالجبارين ، ويرزقهما شجاعة فى وجه الخطر الموهوم ، وهذان هما يشهدان بقولتهم هذه بقيمة الإيمان فى ساعة الشدة ، وقيمة الخوف من الله فى مواطن الخوف من الناس ، فالله سبحانه لا يجمع فى قلب واحد بين مخافتين ،مخافته جل جلاله ، ومخافة الناس ، والذى يخاف الله لا يخاف أحدا بعده ، ولا يخاف شيئا سواه(٢) لأن الثقة بالله عز وجل تحمل العبد على تحديات كثيرة , هى أكبر منه وأعظم منه ، لو قاسهما بالعقل لما تقدم قدر أنملة

---

(١) المائدة ٢٣

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن ج٦ ص٨٧٠

فهذان أسلما وجهيهما لله عز وجل وقد واضعا ثقتهما بالله مخالفين مقولة غيرهما أن الأرض بها قوما جبارين ، لأن الإيمان ملأ قلبيهما ولذلك شهدوا ونصحوا غيرهما بمقولتهما هذه ، متجاهلين العقل وأقيسته المنطقية أمام هذا الإبتلاء الربانى .

الموقف السادس

الإبتلاء بالخوف من محاربة الكثرة

لما فصل طالوت وجنوده من بيت المقدس ، إتجه لمحاربة العمالقة وكانوا كثرة وهم قلة ، وهذه القلة ، لم يبقوا معه بأكملهم ، بل بقى معه من وضع ثقته بالله ولم يشرب من ماء النهر ، ولم يطعمه إلا غرفة بيده وكانت المواجه بين الفريقين العماليق الكثرة ، وهؤلاء القلة المؤمنة ،وهنا تحكم العقل عند البعض بالموازنة بين الفريقين ، لدرجة أنهم تخاذلوا من الكثيرة وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، لكن البعض الآخر الذين وضعوا ثقتهم بالله متحدين العقل وقياسه المهلك فى هذا الموقف الإبتلائى ، بأن كثير من القلة غلبت الكثرة بإذن الله ومشيئته وبالتوكل عليه ،فلما يعبأوا بالكثرة ، بذلك قال تعالى{ فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ، ولما برزوا لجالت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين ، فهزموهم بإذن الله.....}(١)

(١) سورة البقرة ، ايه -٢٤٩-٢٥١

قال الشيخ المرغى " قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) أى قال الذين يستيقنون بلقاء ربهم بالبعث ، ويتوقعون ما عنده من الجزاء والثواب إن كثيرا ما رأينا الجماعات القليلة غلبت الجماعات الكثيرة حين يكتب الله لهم التوفيق والنصر بمشيئته وقدرته ، والله لا يذل من نصره وإن قل عدده ، ولا يعز من خذله وإن كثرت آلاته وعدده [١]

وبدا من ذلك أن الذين وضعوا ثقتهم بالله عز وجل هم الذين إنتصروا على الكثرة بهذه الثقة ولم يخذلهم الله فيه بل نصرهم ، وحتى ولولم ينتصروا فإن هؤلاء كانوا ينتظرون الشهادة فى سبيل الله ، وهذه وتلك ، كانوا يطمعون فى إحدى الحسنيين ، لكنهم لو قاسوا بعقولهم عددهم وعدد أعدائهم لما قدموا وتقدموا وحاربوا وانتصروا او استشهدوا لأن هذه المواقف الإبتلائية يجب أن يرجح فيها كفة الثقة بالله عز وجل خصوصا إذا كان هذا القتال أمرا من الله وإبتلاءا وإختبارا لعباده حتى يظهر المؤمن من المتخاذل المدعى ، قال البخارى بسنده عن البراء بن عازب قال " كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا بضعة عشر وثلاثمائة مؤمن[٢]

---

(١) المراغى : أحمد مصطفى المراغى ، تفسير المراغى ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٩٤ج٢ ص٢٢٣

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٧ ص٢٩٠

الموقف السابع

الابتـــلاء بـــالخوف مـــن كشـــف أمـــر المؤمنيـــــن للأعـــــداء فى الغار كان الإبتلاء العظيم ، حيث النبى ﷺوصاحبه ابـــو بكـــر ﷺ فكان الاختبار ، فى الثبات والثقة وعدم الخوف ، من ان يكشف أمرهمـــا للكافرين، الواقفين بباب الغار ، لدرجة أنه لو نظر أحدهما تحت قدميـــه لرآهما ، وكان أبو بكرﷺ يحزن فقط من كشف أمرهما لا خوفا علـــى نفسه ولكن خوفا على كشف أمر النبىﷺ للكافرين ، لأنـــه لـــو هلـــك لهلكت الأمة ،{ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثـــانى أثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فـــأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم }(١)

فقد ضل الكفار عن مغنمهم بإتباعهم العقل ، وإتباعهم مقدماته التى هى أثار النبى ﷺ وصاحبه ، ورغم ذلك وقفوا أمـــام الغـــار مضلليـــن بمعجزات لا يدركها العقل ، لأن المتحكم فى هـــذا الموقـــف هـــو رب العالمين ، فيثبت من يشاء ، ويضل من يشاء ، ولذلك رجعوا مخذوليـــن ، بقياسهم العقلى ان هذا العنكبوت وهذا الطير بقاءهما هنا على فوهة الغار بزمن يسبق زمن مجيء محمد ﷺ وصاحبه وهكـــذا ضلـــوا وخذلـــوا فرجعوا ،

(١) سورة التوبة أيه ٤٠

قال صاحب الرحيق : لما أنتهيا الى الغار جدت الفرسان والمشاة وقصاص الأثر فى الطلب ، وإنتشروا فى الجبال والوديان والوهاد والهضاب ، لكن دون جدوى وبغير فائدة . وقد وصل المطاردون الى باب الغار ، ولكن الله غالب على أمره ، روى البخارى عن أنس عن أبى بكر قال ، كنت مع النبى ﷺ فى الغار ، فرفعت رأسى فإذا أنا بأقدام القوم ، فقلت : يانبى الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا ، قال " اسكت يا أبا بكر ، أثنان الله ثالثهما وروى الامام أحمد بسنده قال أبو بكرى للنبى ﷺ وهو فى الغار ، لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا ، فقال " ياأبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما "ولم يكن فزع أبى بكر مخافة على نفسه ، بل سببه الواحدي ما ورى أن أبا بكر لما رأى القافة إشتد حزنه على رسول الله ﷺ وقال ، أن قتلت أنا فإنما أنا رجل واحد ، وإن قتلت أنت هلكت الأمة ، فعندها قال له رسول الله ﷺ " لا تحزن إن الله معنا " (١)

ونلاحظ أن لفظ الجلالة قدمه النبىﷺ على لفظ المعية (إن الله معنا) وهذا وإن دل فإنه يدل على عمق الثقة بالله عز وجل والتوكل عليه سبحانه فى هذا الموقف العصيب الشديد البأس الذى ينبض فيه القلب إضطرابا ، وتتشد الأعصاب لو لم يكن هناك ثبات وثقة ، ولو تدخل العقل بأقيسته المنطقية فى هذا الموقف لكان هناك شأنا آخر على

(١) صفى الرحمن البارکفورى : الرحيق المختوم ، دار الوفاء ، ص١٨٧ سنة ١٩٩٩

الأقل لو حدث ذلك لأى إنسان عادى ، فعلى الأقل لمات بالسكتة القلبيـــة أوتشلت أعضاء جسمه فضلا على كله ، لكن الأمر هذا فوق العقل وفوق المنطق إنها الثقة بالله والتوكل عليه والثبات والسكينة .

الموقف الثامن

الإبتـــلاء بالجـــوع

فى هذا الموقف الإبتلائى الخاص بإختبار الله لأحد عباده بـــالجوع نجد أن صاحب الموقف هذا ليس نبيا رسولا ، بل شخصية عادية ، ليس لها توام التحمل للمهمات الصعبة ، سوى الإيمان الذى يملأ القلب والثقـــة التى تغمر النفس ، والتوكل على الله رب العالمين ، والشخصية التى نحن بصددها الآن شخصية إمرأة وليس شخصية رجل ، ومقومات شـــخصية المرأة كما هو معروف ليست كمقومات شخصية الرجل ، لأن المـــرأة ضعيفة بطبعها ، وشخصية مثل شخصية هاجر زوج إبراهيم عليه السلام وأم إسماعيل عليه السلام لابد وأن تكون مؤهلة لتحمل المهمات الصعبة

وهاهى توضع فى موقف إبتلائى من قبل الله عز وجل بوضعـــها وتركها فى صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء ، سوى زادهـــا الـــذى سينفد بعد فترة زمنية وإن طالت ، وشبح الجوع يهددها هى ورضيعـــها فضلا عن الخوف المنبعث من طبيعة المكان ، ولو قاست هاجر ، موقفها هذا بالعقل وبطبيعة البشر وبخاصة طبيعة المرأة لوجدناها تجـــرى وراء زوجها الخليل ، وتأبى أن تنفذ أمره وأمر ربه ، لأنها بشر له مقومـــات

الدفاع عن تواجده فى هذه الحياة ، لكننا لم نجد صراخا ولا إباءا ولا عصيانا ، من الزوجة المؤمنة ، بدين زوجها وبرب العالمين ، والتى وثقت فى أنه سبحانه لن يضيعها هى ولا رضيعها ،

قال ابن كثير " ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم اسماعيل ، فقالت ، يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شىء ؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم قالت : إذن لا يضيعنا ثم رجعت .[1] ثقة بالله وتوكلا عليه ، وبالفعل بعد أن نفذ طعامها وشرابها ، راحت تسعى ، بين جبلين الصفا والمروة تتطلع الى من يغيثها ، هى ورضيعها ، آخذه بالأسباب ثم الفرج العظيم من تفجر عين ماء زمزم ، جائزة عظيمة لتحمل هذه المرأة لهذا الإختبار الربانى ، ولثقتها العميقة فى رب العالمين أنه لن يخذلها ، ولن يضيعها كما شهدت بذلك بكلماتها التى وصلت الى أذن زوجها الخليل ،عليه السلام

(١) ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ١٥٤

الموقف التاسع

الإبتلاء بنقص من الأنفس

فهى هذا الموقف الإبتلائى وكان لنبى الله يعقوب عليه السلام نجد أن الله قد إبتلاه وإختبره بضياع بعض أولاده واحدا بعد الآخر ، يوسف عليه السلام ثم بنيامين ، الى جانب فقده لبصره ، ورغم هذا الإبتلاء يؤكد لباقى أولاده الذين وثقوا أن يوسف قد هلك بالفعل ، يؤكد لهم عليه السلام أن الواثق بالله عز وجل ليس كاليائس من رحمة الله عز وجل ، لأن من ييأس من رحمة الله يكن من الكافرين ، لكن عقل أبناءه يقيس بمنطق العقل ، أنه لا محالة ، من رجوع ، أخيهم يوسف عليه السلام، وايضا إستبعده بالعقل رجوع أخيه ويتهمون أبيهم ، أنه لا يزال فى ضلاله القديم ويقسمون على ذلك ، قال تعالى {يابنى إذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تايئسوا من روح الله إنه لا يايئس من روح الله إلا القوم الكافرون}(١) وقال تعالى { ولما فصلت العير قال أبوهم إنى لا أجد ريح يوسف لولا أن تفندون ، قالوا تالله أنك لفى ضلالك القديم }(٢) وعلى أثر فقده لولديه فقد بصره ، قال تعالى { وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم}(٣) "قيل أنه لم يبصر بهما ست سنين ، وأنه أعمى قال مقاتل ، وقيل قد تبيض العين ويبقى شىء

(١) يوسف أيه ٨٧

(٢) يوسف ، أيه ٩٤-٩٥

(٣) يوسف أيه ٨٤

من الرؤية والله أعلم بحال يعقوب ، وإنما أصيبت عيناه من البكاء ، ولكن سبب البكاء الحزن ، فلهذا قال " من الحزن " وفى سبب إبتلائه بالعمى روى أنه قيل أنه يايعقوب : ما الذى أذهب بصرك ، وقوس ظهرك ؟ قال أذهب بصرى بكائى على يوسف ، وقوس ظهرى حزنى على أخيه ، فأوحى الله إليه ، أتشكونى ، وعزتى لا أكشف ما بك حتى تدعونى ، فعند ذلك قال { أشكو بثى وحزنى الى الله } فأوحى الله إليه ، وعزتى لو كانا ميتين لأخرجتهما لك ، وإنما وجدت عليكم ، غضبت لأنكم ذبحتم شاة فقام يسألكم مسكين فلم تطعموه منها شيئا ، وإن أحب خلقى الى الأنبياء ثم المساكين ، فاصنع طعاما وأدع إليه المساكين فصنع طعاما ثم قال : من كان صائما فليفطر عند آل يعقوب(١)

هذه أن ثقة يعقوب عليه السلام فى ربه هى التى جعلته يعطى الأمل لنفسه ولأولاده أن كل ما سلب منه وضاع سوف يعود ، بديل كلماته إذهبوا فتحسسوا ، وقوله : {لا تيأسوا من روح الله } وقارن بين اليأس والكفر ، وحتى بعد المكان جعله لا يستبعد وجود يوسف وأخيه ولا عودة بصره ، بدليل أن البشير الذى سبق مجىء أولاده جاء بالقميص الذى فيه رائحة ابنه المفقود ، فألقاه على وجه فارتد بصيرا ، فكان من حوله يقيس

(١) السيوطى ، جلال الدين السيوطى ، الدر المنثور فى التفسير المأثور ، ط١ دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٩٨٧ج٤ ص٣٢

وانظر تخريجه من كتاب إسحاق بن راهويه فى تفسيره ، وابن أبى الدنيا فى كتاب الفرج بعد الشدة وابن أبى حاتم فى الأوسط،

بعقله أن تلك المفقودات من الأولاد والبصر لن يعـودوا ، لكـن الثقـة ترجح كفتها على العقل وأقيسته الذى له مقدمات عند أصحابها ، والنتائج تأتى مخالفة تماما لتلك المقدمات ، فوضع يوسف فى البئر وأخذ الملـك بينامين ، بتهمة السرقة ، وضياع عين الأب ، هذه مقدمات عقلية تنتـج مقدمات يجزم فيها العقل بإستحالة أو إستبعاد عودة ، ولديه والبصـر ، لكن الثقة بالله والتوكل عليه جعلت نبى الله يعقوب عليه السلام يستبعد عقلانيـة أولاده الذين تسببوا في ضياع يوسف وأخيه وبصره.فوضع ثقته بالله عز وجل فلم يخذله الله نعادو جميعا ،

الموقف العاشر

الإبتلاء بنقص الاموال و الأنفس والثمرات لنبى الله أيوب عليه السلام

بتلى الله نبيه أيوب عليه السلام بفقده لصحته وأولاده وماله ، بعد أن من الله عليه بشكر النعمة حيث أعطى مالا كثيرا وعافية فى بدنه وأولاد ، وضيعة وفيرة الثمار ، فأراد الله ان يختبره بالصبر بعد الشكر ، فسلب منه كل ذلك واشتد بلاء أيوب عدة سنين ، وتخلى كل من حوله عنه ، محكمين عقولهم فى أن هذا الرجل المبتلى فى جسده وماله وأهله لن تقوم له قائمة ، لأنه لا أمل فى شفائه وبالتالي لا أمل فى أن يعيد ما سلب منه من مال و أولاد ، لكن ثقة أيوب عليه السلام بالله عز وجل اكبر من كل قياس عقلى ، ولذلك لجأ الى رب العالمين ، قائلا "{ وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين }[1]

وقال السدى : تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والعصب ، فكانت أمرأته تأتيه بالرمار تفرشه تحته فلما طال عليها ، قال يا أيوب ، لودعوت ربك لفرج عنك ، فقال : قد عشت سبعين سنة صحيحا ، فهل قليل لله أن أصبر له سبعين سنة ؟ فجزعت من هذا الكلام ، وكانت تخدم الناس بالأجر وتطعم أيوب عليه السلام

(١) الانبياء : ٨٤

ثم أن الناس لم يكونوا يستخدمونها ، لعلمهم أنها أمرأة أيوب ، خوفا أن ينالهم من بلائه أو تعديهم بمخالطته ، فلما لم تجد أحد يستخدمها عمدت فباعت لبعض بنات الأشراف أحدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير فأتت به أيوب ، فقال : من أين لك هذا ؟ وأنكره فقال : خدمت به أناسا فلما كان الغد لم تجد احدا فباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأتته به ، فأنكره وخلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام ؟ فكشفت عن رأسها خمارها ، فلما رأى رأسها محلوقا قال فى دعائه ، يارب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين(١)

فدعائه لله عز وجل ، رد عليه جسده ، وماله وأولاده وهذا كله بثقته بالله وتوكله عليه ، لا بقياسه العقلى من أن طول فترة إبتلائه تجعله ييأس ويمل ما هو فيه حتى ولو كان من حوله يحمله على ذلك من طلب الشفاء بعد أن عرض الشيطان لزوجه على دواء له فأخبرت زوجها بذلك ، فعلم أن هذا من نصح الشيطان ، أو بالكلمات التى تلفظ بها أقرب المقربين اليه وهما رجلان من أقربائه حيث قالا لو كان الله علم من أيوب خيرا ما إبتلاه بهذا . فجزع أيوب من قولهما جزعا لم يجزع مثله من شىء ولكنه لم يعبأ بهما ، ولجأ الى الله واثقا فيه ومتوكلا عليه ، ففرج الله عليه كربه " وألبسه الله حلة من الجنة فتنحى أيوب وجلس فى ناحية ، فجاءت أمرأته فلم تعرفه ، فقالت يا عبد الله ، اين ذهب هذا المبتلى الذى كان

(١) قصص الانبياء : ص٢٦٩

هاهنا ؟ لعل الكلاب ذهبت به او الذئاب ، وجعلت تكلمه ساعة ، فقال ، ويحك أنا أيوب ، قالت أتسخر منى يا عبد الله ؟ فقال ويحك أنا أيوب قد رد علي جسدى وقال إبن عباس : ورد عليه ماله وولده باعيانهم و مثلهم معهم[١] وصدق الله فى قوله أنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ٠ [٢]

(١) المرجع السابق :ص٢٧٣

(٢) سورة ص ٤٤

ثالثا : مواقف الإبتلاء المتعلقة بالخوارق

فى هذا النوع من المواقف الإبتلائية ، يكون صاحب الموقف أمام حدث يفوق موازين العقل ، وأيضا هذا الحدث يخالف موازين ، النواميس الطبيعية التى تعارف عليها الناس ، وإعتادوا سريانها فى أمر الرتيب ، لم يتوقعوا ، خرقه ،اللهم أن كان هذا الخرق ، سيحدث ، على يدى نبى من أنبياء الله ، ففى هذه الحالة يسمى هذا الأمر معجز أو معجزة ، وسوف نذكر مثالين خاصين بهذا النوع كى نوضح مدى ثقة أصحاب تلك المواقف بالله عز وجل ،ومدى إستباعدهم لقياس ذلك على مقاييس العقل ومنطقة ،

الموقف الأول

إبتلاء سليمان عليه السلام بمجىء العرش

الإختبار يكون بالشر والخير من قبل الله عز وجل لعباده ، الذين يبدون له سبحانه وتعالى مدى صبرهم ، ومدى شكرهم ، أمام أى موقف إبتلائى ، قال تعالى {ونبلوكم بالشر والخير فتنة}[1] وقد إبتلى سليمان عليه السلام بأمر خارق وهو الإتيان بعرش ملكة سبأ بلقيس من بلاد اليمن بالجنوب ، إلى مستقرة بأرض فلسطين بجوار المسجد الأقصى ، وحدث ذلك أمامه ، بمعاونة أحد أعوانه حيث أتى به فى فترة زمنية وجيزة ، وأى إنسان يحدث أمامه هذا الحدث يكون موقفه إما النكران لما يحدث

(١) سورة الأنبياء آية ٣٥

أمامه ، أو الإغترار بما حدث بالفعل ، أو أنه يكون له ثقة بالله عز وجل أن ذلك يحدث أمامه بقدرة الله المطلقة ومشيئة العالية وأن ما حدث بالفعل فوق مقاييس العقل ومنطقة ، وهذا ما حدث من سليمان عليه السلام بالفعل ، حيث شكر ربه أمام هذا الأمر العظيم والحدث الجلل ، قال تعالى {قال يا أيها الملؤا أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى امين ، قال الذى عنده علم من الكتاب أنا ءاتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رءاه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى ءاشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم }(١)

قال الشيخ النجار : لما علم سليمان بإعتزام ملكة سبأ على زيارته فى عاصمة ملكه ، شيد لها صرحا عظيما ، ومرد أرضه بالزجاج ، وهذا شىء لا عهد لأهل اليمن بمثله . ولما قربت من ديار سليمان أراد أن يظهر لها من دلائل عظمته ونعم الله تعالى عليه ما يبهرها وأن ترى بعينها ما لم ترها الأحلام بفعل عجيبة ظاهرة وهى أن يأتيها بعرشها الجميل ليكون جلوسها عليه فى ذلك الصرح - فسأل جنوده عن قوى يأتيه بذلك العرش ، فأنتدب له عفريت من الجن وقال له أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك هذا وإنى عليه لقوى أمين على ما

(١) سورة النمل : آية ٣٨-٤٠

فيه من الجوهر والحلى – وقال شخص من الإنس والجن عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وكان الأمر كما قال . فجلاء ووضع فى الصرح الذى هىء لها لإستقبالها[1] فإستقبل سليمان عليه السلام هذا الحدث العظيم ، بالشكر والإمتنان لله عز وجل ، أن هىء له بأن يتم على يديه تلك الخوارق التى تفوق تصورها حدود العقل ، ولتكون بيانا للمشركين ، عباد الشمس ، من أن إله سليمان قادر على كل شىء وأنه سبحانه أهل لثقة عباده فيه، بأنه سبحانه يجرى الخوارق التى تفوق مستواها تصور العقل وقياسه ومنطقه

الموقف الثانى

الإبتلاء بحدث الإسراء والمعراج

وإبتلى اهل مكة بخبر الإسراء والمعراج ، بعد أن سمعوا ذلك من النبى ﷺ وهو يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى قد اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ثم عرج به الى السموات العلى ، واهداه بفريضة الصلاة ، فإستقبل الناس هذا الحدث بشىء من الدهشة وانكره من أنكر ، وصدقه من صدق ، وكان هذا إختبارا للمؤمنين على ثباتهم على رضاهم بالإسلام دينا ، وما يتجدد فيه من اخبار تفوق العقل ، اما من أنكر فقد قاس ذلك بعقله واقيسته المنطقية ، من أن محمدا ﷺ كيف يتأتى به الأمر بأن يحدث له ذلك فى فترة زمنية وجيزة، وهم يذهبون

(١) عبد الوهاب النجار ، ص٣٩٦

الى هذا المكان حيث بيت المقدس ، فى مسيرة شهر ذهاب وشهر إياب ، فقاسوا بعقولهم هذا الأمر الخارق لكن من وضع ثقته بالله صدق هذا الأمر ، وكان له مقياسه الخاص به الذى ساعده فى تقبل ، حادث الإسراء ، حيث أن من صدق محمدﷺ وآمن به فإنه يجزم ان هناك إتصال من فوق السماء السابعة بمكانه فى مكة فى جزء من الساعة ، والذى يعتقد فى هذا يعتقد فى ذاك ، لكن هذا القياس العقلى رتب بعد تقدم الثقة بالله وفى رسول الله ﷺ فيما أخبر بما قال ، والذى وضع هذه الثقة بالله وفى رسوله ﷺ هو أبو بكرﷺ ذكر ابن هشام فى سيرته : أن الناس ذهبوا الى أبى بكر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر فى صاحب يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة قال : فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه ؛ فقالوا بلى ها هو ذاك فى المسجد يحدث به الناس ، فقال ابو بكر ، والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ؛ فو الله إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه[1]

فتغلبت الثقة بالله وتقدمت على اقيستهم العقلية ، التى حملتهم على التكذيب والاستهجان من خبر حديث الإسراء الذى اخبرهم به الصادق الأمين ﷺ

(١) ابن هشام : السرة النبوية : بدون دار طبع ج اوح(٢)مجلد (١) ص ٣٩٩